الرَّحمن. علَّم القُرآن.

خلق الإنسان

ما دلالة أن يأتيَ الحديث عن خَلْق الإنسان، وتعليمه البيان مسبوقاً بالحديث عن القرآن، مع أنَّ المراد بـ « الإنسان » هو الجنس.

وهو سابقٌ بأجيالٍ على تنزيلِ القرآن.

إذْ القرآن قد نُزِّل على خاتم الرسلِ محمدٍ ﷺ ؟

وَخَلْق الإنسان قد بُدِئَ بخَلْقِ آدم ـ أبي البشر عليه السلام.

وآياتُ الرحمن ـ كما نرى ـ قد جاء ترتيبُها أَوَّلاً بـ ﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١ ﴾[1] في آيةٍ، لم يأت بعدها ﴿ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣ ﴾[2]، وإنَّما جاء بعدها ﴿ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢ ﴾[3]

فجاء تعليمُ القرآن موصولاً بالرحمن.

وجاء خَلْقُ الإنسان بعد تعليم القرآن.

أَلاَ يُعطينا ذلك أنَّ القرآن الكريم ـ بحقائقه ـ سابقٌ، ليس بمخلوقٍ ولا مسبوقٍ ؟ فهو كلامُ الله، المشتمل على صفات الخَالق، وحِكمةِ الخَلْقِ، وغايةِ الوجود.

وهذه الحقائق ثابتةٌ قبل خَلْقِ الإنسان.

---

(1) الرحمن: ١.

(2) الرحمن: ٣.

(3) الرحمن: ٢.

وقد نُزِّلَ القرآنُ بها ـ وهو الكتابُ المهيمنُ، المحفوظ بحِفْظِ الله.

ليظلَّ الخطابُ بهذه الحقائق موصولاً بالإنسان، يرى فيه من سُنَنِ الله ما كان وما سيكون، إلى آخر الزمان، دون تبديل أو تحويل.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۝٩ ﴾[1]

هكذا ـ بضمير العظمة المتكرر ـ يُخبرنا الله بتنزيل القرآن وحِفْظِهِ.

فلا غَرْوَ أن يكون القرآنُ موصولاً بالرحمن، متصلاً بالإنسان.

يعتصم به، فينعم بفضلِ الله ورحمته.

يُذْكَرُ ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ ﴾ أوَّلاً، ثم يُذْكَرُ السَّببُ الواصل بينه وبين خَلْقِه، ثم يُذْكَرُ الإنسان، الذي من أجله أُنزِلَ وبقيَ موصولاً على مَرِّ الزمان.

وجاء الرسلُ ـ جميعاً ـ مُبشرين بحقائقه ومُنذرين، إلى أنْ خُتمت رسالتهم بنُورٍ وكتابٍ مبين، تُعرَفُ به رسالاتُ الرسلِ جميعاً، دون تفرقة بين رسولٍ ورسول.

﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٨١ ﴾.[2]

---

(1) الحجر: ٩.

(2) آل عمران: ٨١

من هُنا نستطيع أن نُدرك التناسب بين الآيات على هذا الترتيب:

﴿ ٱلرَّحۡمَٰنُ ۝١
عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ۝٢
خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ۝٣
عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ۝٤ ﴾[1]

وأن نعرف شأنَ القرآن بالنسبة للإنسان.

وأنه الحَبْلُ الممتدُّ بينه وبين الرحمن.

* * *

(1) الرحمن: ١ ـ ٤.

obeikandl.com